العـربيـة الشـمالية

(القسم الأول)

أ.د. رفعت هزيم(*)

تبيّن لنا في بحث «العربية في جنوب الجزيرة العربية»(١) أنّ لغة الكتابة لعرب الجنوب القدماء ظلّتْ محفوظةً حتى اليوم في ضربين من النقوش: «نقوش المُسند» المكتوبة على الحجر والمعدن؛ و«كتابات الزَّبور» المكتوبة على عُسب النَّخل وأعواد الخشب، فضلاً على نصوصٍ أحدث زمناً سمّوا لغتها «الحِميريّة»، ولغة هذه الأضرب الثلاثة مطابقة للفصحى في النظام الصوتيّ، مماثلة أو مشابهة لها في كثيرٍ من الظواهر الصرفيّة والنحويّة والأسلوبيّة، فضلًا على اشتراك الفصحى والعربية الجنوبية في قدرٍ كبير من المعجم اللغويّ.

أمّا إخوانهم العرب الذين جاوروهم وعاصروهم في بقاعٍ شتى من المشرق العربيّ فقد تركوا لنا نقوشاً مكتوبة على الصخور، بدأ المستشرقون اكتشافها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وسمّوا لغتها «العربيّة الشماليّة المبكّرة»؛ أي ما يُسمّى بالإنكليزية Old/Early North Arabic ؛ وهو ترجمة لما سمّاه (كاسكل) W.Caskel بالألمانية Frühnordarabisch لأنّها تمثّل مرحلةً مبكرة من الفصحى، في حين يسمّيها الباحثون العرب «العربيّة البائدة»

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) انظر الأجزاء ٢ و٣ و٤ من المجلد ٨٨.

– ترجمةً فيما يبدو للمصطلح Protoarabic – لأنّ أصحابها بادوا وانقضوا؛ أو «البدائيّة» لأنها لا تبلغ مستوى الفصحى، ولأنها تسبقها – كما يدّعون – بزمنٍ طويل، وهي أربع لهجات: اللحيانية والثمودية والصفوية والأحسائية. ويضاف إليها نقوش قليلة متفرّقة أحدث زمناً يُسمّيها المستشرقون Early Arabic = «العربيّة (أي الفصحى) المبكّرة»، ويسمّيها الباحثون العرب «العربية الباقية أو القديمة» خلافاً لـ «العربية البائدة أو البدائيّة».

وقد سُمّيت اللحيانيّة كذلك لورود الاسم «lḥyn = لحيان» في بعض نقوشها، وهي قبيلة ذكر الطبريّ والهمدانيّ أنها من جُرْهم على حين جعلها ابن حزم من هُذيل. وورد ذكرها بثلاث صيغ: Lechieni وLeanitae وLaianitai لدى (بلينيوس) Plinius (٢٣–٧٩م) و(بطليموس) C.Ptolemaeus (٩٠–١٦٨م) و(اسطفان البيزنطي) Stephanus of Byzantium.

أمّا الثمودية فالباحثون – ومنهم (أويتنغ) J.Euting و(مولر) D.H.Müller و(ليدزبارسكي) M.Lidzbarski – متفقون على هذه التسميّة لورود tmd اسماً لقبيلةٍ في بعض النقوش الثموديّة المكتشفة في مواقع على مقربةٍ من تبوك وحائل وتيماء، دون أن يعني ذلك – كما يقولون – أن يكون كاتبو هذه النقوش من ثمود وحدها. وقد ذُكرتْ «ثمود» مراراً في القرآن الكريم في سياق الحديث عن الأقوام التي أُهلكتْ ومنها لوط وعاد ومدين كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ﴾ [ص: ١٢–١٣]. كما ذُكرت بالصيغة نفسها – أي tmd – في النقوش السبئية والنقوش الصفوية، وكانت tamudi إحدى القبائل التي روى الملك الآشوري (سرجون) [شروكين] الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م) أنها خضعت له عام ٧١٥ ق.م، ثم ذكر (بلينيوس) أنّ الجيش الرومانيّ كان يضمّ فرساناً ثموديين

مواطنهم في Domatha «دومة الجندل» (أي الجوف حاليًا) وHegra «الحِجْر» (أي مدائن صالح حاليًا) حيث تنتشر هذه النقوش.

ووصف (هاليفي) J.Halévy و(دو فوجيه) M.de Vogüé نقوش الضرب الثالث بأنها «صفويّة = Safaitique» وسمّياها «نقوش الصفا = Les Inscriptions du ṣafa» عام ١٨٧٧ نسبةً إلى تلول الصفا في الشمال الشرقيّ من جبل حوران جنوبي سورية، مع أنّ النقوش لم يُعثر عليها في هذا الموقع بل في «الرحبة» إلى الجنوب منه. و«الصّفا» جمع «الصفاة» وهي «الحجر الصّلد الضّخم لا يُنبتُ شيئاً»، وقد ورد اسما هاتين المنطقتين في قول جرير:

هبّتْ شَمالاً فَذِكرى ما ذَكرتُكُمُ عندَ الصّفاةِ التي شرقيّ حورانا

ثم شاعت تسمية (الصفويين) Les Safaites التي صاغها (دوسو) و(ماكلير) R. Dussaud & F.Macler عام ١٩٠٣ لكاتبي النقوش قياساً – فيما يبدو – على تسمية كاتبي الضربين السابقين «اللحيانيين» و«الثموديين»، وهو قياسٌ خاطئ؛ لأنّ كتب التراث العربي والمصادر القديمة جميعها لا تعرف – فيما أعلم – قوماً يحملون هذا الاسم، ولا يمكن الاعتراض على ذلك بأن (دوسو) و(ماكلير) ذكرا أنّ سكانها كانوا يُسمّون أنفسهم «عرب الصفا» لأنها تسميةٌ حديثة لا تجد لها سنداً في العصور الغابرة.

ونسب واضع مصطلح Ḥasaitic / Ḥasaean «الأحسائيّة/ الحسويّة» – وهو «جام» A.Jamme – ذلك الضرب من النقوش إلى إقليم الأحساء في المنطقة الشرقيّة من السعوديّة لأنها اكتشفت في مواقع مختلفة منه.

فإذا كان المنتسبون إلى قبيلة لحيان ومَن جاورها؛ وإلى قبيلة ثمود ومَن ساكنها هم الذين كتبوا النقوش اللحيانية والثمودية فمن هم كاتبو النقوش الصفوية والأحسائية؟ لا بدّ للإجابة عن هذا السؤال من تتبع تاريخ العرب

في المشرق العربيّ في الألف الأوّل قبل الميلاد لأنّ الباحثين يتفقون على أنه الزمن الذي نشأت في أحيانٍ متقاربة منه الأضرب الأربعة من نقوش العربية الشمالية. ويرجع أقدم ذكرٍ للعرب إلى عهد الملك الآشوري (شلمانصر) الثالث الذي يتحدث في أحد النصوص عن معركة خاضها في السنة السادسة من حكمه - أي سنة ٨٥٣ ق.م - في «قرقر» على نهر العاصي انتهت بهزيمة خصومه وكان أحدهم «جُندب Gindibu» العربي، ويبدو أن المنطقة الخاضعة لسلطة ذلك الشيخ كانت في البادية السورية على أطراف وادي السرحان. ثم تروي حوليات (تيجلات بيلاصر) الثالث أخبار انتصاراته في حملاته المتتالية على الأعداء، فتذكر اسم «زبيبي Zabibe -أي زبيبة- ملكة العرب» ضمن أسماء الحكام الذين دفعوا له الإتاوة سنة ٧٣٨ ق.م، ثم يرد في حولياته لسنة ٧٣٣ ق.م اسم ملكةٍ أخرى تُدعى (سمسي) Samsi - أي شمس - ملكة العرب هاجمها عند أحد الجبال وقتل تسعة آلاف من جنودها، ففرّت الملكة إلى البادية ولكنها عادت إلى العاصمة الآشورية وأعلنت خضوعها، ويورد الملك في روايته أسماء جماعات عربية أخرى خضعت له ودفعت إتاوةً من الذهب والفضة والإبل والطيوب. ثم يحدثنا (سرجون/ شروكين) الثاني عن إخضاعه أربع جماعات - إحداها tamudi = ثمود- واصفاً أفرادها بأنهم عربٌ يقيمون في البادية البعيدة لم يخضعوا لأحدٍ ولم يدفعوا إتاوةً لملكٍ من قبل. ثم تروي حوليات (سنحاريب) أنه هاجم بين عامي ٦٩١ و٦٨٩ ق.م العرب الذين كانت تقودهم امرأة تُدعى (تئلخونو) Te'elhunu وكانت حليفةً لـ«حزائيل» الذي وُصف في نقوشٍ أخرى بأنه ملك قيدار العربية، وأراد الحليفان بعد هزيمتهما النجاة بالفرار إلى «Adummatu أي دومة الجندل» غير أنّ

الآشوريين تعقبوهما وقبضوا عليهما. ثم يخبرنا (أسرحدون) بأنه جعل الأميرة (تبوه) Tabua التي كانت رهينة لدى (سنحاريب) ملكةً للعرب، وبأن جميع ملوك العرب قدّموا له الإبل التي احتاج إليها لعبور صحراء سيناء في حملته على مصر سنة ٦٧٣ ق.م. وكان العرب في عهد (آشور بانيبال) (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) ينتقلون من حال الموالاة والخضوع له إلى حال التمرّد والثورة عليه تبعاً للظروف السائدة، وانتهى الأمر بهجوم الآشوريين على معسكراتهم وإحراق خيامهم وأسر اثنين من ملوكهم - أحدهما ملك قيدار- وُصف كل منهما بأنه «ملك العرب». فإذا انتقلنا إلى وثائق الدولة البابلية الحديثة فإنّ أوّل ذكرٍ للعرب هو ما ورد في حوليات (نبوخذ نصر) (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) عن حملته إلى بلاد الحثيين - والمُراد هنا سورية - في السنة السادسة من حكمه، حين أرسل الملك كتائبه إلى الصحراء فكانت غنائمها من مقتنيات العرب المتمردين وأصنامهم وحيواناتهم كثيرة، ويبدو أن ذلك التمرّد وقع في مناطق في جنوبي سورية وشارك فيه ملك قيدار. ثم تذكر النصوص من عهد آخر ملوك هذه الدولة (نابونيد) (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) أنه غادر بابل إلى تيماء فخاض هناك حرباً انتهت بمقتل ملكها، وأقام فيها عشر سنوات. فلمّا استولى الملك الأخميني (كورش) الثاني على بابل سنة ٥٣٩ ق.م بدأ الأخمينيون بإخضاع الكيانات الإثنيّة المستقلة، ولكنهم اتخذوا العرب - فيما يبدو - حلفاء لهم، فقد ذكر (هيرودوت) أنّ (قمبيز) الثاني عقد معاهدةً مع «ملك العرب» قبيل حملته على مصر سنة ٥٢٥ ق.م لتزويده بالإبل المحمّلة بِقِرَب الماء أثناء عبوره صحراء سيناء، كما ذكر أنّ وحدات عربية مقاتلة من الهجّانة شاركت في حملة «Xerxes أي أحشويرش الأوّل» على اليونان سنة ٤٨٠ ق.م. ثم أشار (ديودور) الصقلّي إلى مشاركة

العرب في حملات أخرى على الساحل وفي أعالي البحار في عامي ٤١٠ و٣٨٦ ق.م. وروى (بوليبيوس) Polybius (١٩٨-١١٧ ق.م) أنّ شيخاً عربيًّا يُدعى «زبدي بل» ومعه عشرة آلاف رجل ساندوا الملك السلوقي (أنطيوخوس) الثالث في المعركة التي خاضها ضد البطالمة في رفح عام ٢١٧ ق.م. ونضيف إلى ذلك أنّ «العهد القديم» يشير إلى «العرب» مراراً للدلالة على القبائل العربية في شمالي الجزيرة العربية، كما يذكر أسماء أولئك الذين ظهروا بعدهم كالقيداريين واليطوريين.

ويُستنتج من هذا العرض المقتضب أنّ المصادر الآشورية والبابلية والأخمينية والتوراتية تثبت أن العرب كانوا طوال خمسة قرون من الألف الأول قبل الميلاد مجموعةً إثنيّةً كبرى تنتشر قبائلها في شمالي الجزيرة العربية وأطراف بلاد الرافدين وسورية، وقد انضوى بعضها في اتحادات قبليّة أو إماراتٍ لم تذكر المصادر التي بين أيدينا سوى أسماء بعض شيوخها أو أُمرائها الذين لقَّبتهم بالملوك، لأنّ نمط حياتها البدويّ محا آثارها على مرّ القرون خلافاً للديدانيين واللحيانيين الذين كانوا من أهل الحضر فظلّت آثارهم في ديدان والحجر وسواهما حيّةً حتى اليوم، ولكن كلا الفريقين من عرب الشمال أسهما إسهاماً واضحاً في التاريخ السياسي والثقافي والعسكري والاقتصادي للمشرق العربي، فبأيّ لغةٍ كتب أولئك العرب؟ إذا كان إخوانهم الذين خلفوهم كالأنباط والتدمريين في سورية الطبيعية وعرب «الحضر» في بلاد الرافدين قد خضعوا لتأثير اللغة الآرامية التي كانت حينذاك واسعة الانتشار فكتبوا نقوشهم بخطوطٍ ولهجاتٍ آراميّة، فإنّ الديدانيين واللحيانيين والثموديين وكاتبي الأحسائيّة والصفويّة وسواهم اختاروا لغتهم العربية ليكتبوا بها ما خلفوا من تلك النقوش، وقد عرفنا

أصحاب النقوش الديدانيّة واللحيانيّة والثموديّة في حين ظلّت هويّة كاتبي النقوش الأحسائيّة والصفويّة مجهولةً حتى اليوم، ولا شك أنهم ينتمون إلى تلك القبائل العربية.

فإذا انتقلنا إلى التعريف بالخطوط التي استعملها كاتبو تلك النقوش فإنّ الأحسائية تُكتب بالخط العربي الجنوبيّ؛ أي «المُسْنَد» الذي يتألّف من حروف صامتة consonants فحسب لا يتصل بعضها ببعض البتة، ولا يرد فيه حروف صوائت vowels، ولولا التلف والطمس اللذان أصابا أجزاء كثيرة من نقوشها لكانت قراءتها يسيرة لوضوح الحروف ووجود الفواصل بين الكلمات. أمّا أخواتها الثلاث: اللحيانية والصفوية والثمودية فهي مكتوبة بحروفٍ متشابهة من خطٍ متفرّع من «المُسند»، وقيل إنّ هذين الضربين يعودان كلاهما إلى أصلٍ مشترك تطوّر لدى عرب الجنوب إلى المُسند ولدى عرب الشمال إلى خطٍّ مستقل دون اتصالٍ بينهما. ولكن قراءة النصوص اللحيانية والصفوية والثمودية تتطلّب جهداً أكبر، فلمعظم الحروف أشكال متعددة تختلف من موقعٍ إلى آخر بل من نقشٍ إلى نقشٍ مجاور على الصخرة نفسها، واتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار أو بالعكس، وقد يكون أفقيًّا أو عموديًّا، والأغلب أن يكون دائريًّا أو حلزونيًّا، ولا فواصل بين الكلمات، وفي كثيرٍ من النقوش نقص ناتج عن التلف أو الطمس، فيؤدّي هذا كله إلى صعوبة القراءة واختلاف الباحثين في نقحرة الحروف، و في تحديد بداية الكلمة ونهايتها، وفي معرفة التالف أو المطموس أو الناقص منها، وفي تحديد نهاية النقش. زد على ذلك أنّ الجمهرة الكبرى من نقوش اللهجات الأربع هي من النقوش القصار أو المخربشات Graffiti التي لا تتضمّن غالباً سوى أسماء الأعلام وبعض الألفاظ المكرَّرة، فنشأ عن هذا صعابٌ قلّما تواجه الباحث في العربية الجنوبية، لأنّ النقش

الواحد من النقوش اللحيانية أوالثمودية أو الصفوية يُقرأُ قراءات مختلفة ينشأ عنها تفسيرات متعدّدة، أضف إلى ذلك اختلاف الباحثين أحياناً في تصنيف النقوش لغويًّا، لأنّ الموقع الواحد يحوي نقوشاً لحيانيةً وثمودية، أو صفويةً وثمودية، فيؤدّي تشابه الخطوط والألفاظ المشتركة إلى الاختلاف في تحديد لغة النقش - إلا إذا وردت فيه أسماء آلهةٍ أو ملوكٍ تزيل اللبس - فهو عند أحدهم ثموديٌ وعند آخر لحيانيّ أو صفويّ، بل إنّ الباحث نفسه يغيّر في نشرةٍ جديدة تصنيفه اللغويّ في نشرته الأولى، وإليك البيان:

أولاً- النقوشُ اللحيانية والديدانيّة:

ديدان ولحيان:

اكتشفت معظم النقوش اللحيانية في منطقتين بين المدينة المنوّرة جنوباً وتبوك شمالاً، إحداهما: دَيْدان (العُلا حاليًّا) التي ورد ذكرها بهذه الصيغة في معجم البلدان لياقوت الحموي، وبصيغة «ddn» في النقوش اللحيانية والمعينيّة والثموديّة، وبصيغ مشابهة في مصادر أُخرى، نحو: Dedân في «العهد القديم» و Daidân في ترجمته السبعينية التي تُسمّى Septuagint، وأهم مواقعها «الخريبة» – وهي ديدان/ ددان القديمة - و «بئر العُذيب» و«وادي المعتدل» المجاوران لها، والمنطقة الأخرى: الحِجْر (مدائن صالح حاليًّا) التي تبعد عن ديدان زهاء ٢٢ كم شمالاً، وقد ذكرها الطبري والإصطخري وياقوت الحموي وسواهم، كما ذكرها (سترابو) Strabo (٦٤ ق.م- ٢٣م) و(بطليموس) و(اسطفان) البيزنطي بصيغة Egra، و(بلينيوس) بصيغة Hegra، ووردت بصيغة «ḥgr'» في النقوش النبطية؛ وأهم مواقعها: «جبل إثلب» و«قصر البنت» و«قصر الصانع». وكانت كلتا المنطقتين في النصف الثاني من الألف الأوّل قبل الميلاد محطَّة تجارية هامة على طريق البخور الذي كان طريق التجارة من جنوبي

الجزيرة العربية إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط شمالاً وإلى موانئ البحر الأحمر غرباً. وإذا كان الباحثون يتفقون على سكنى أربع مجموعات قبليّة عربيّة: الديدانيّون والمعينيّون واللحيانيّون والأنباط في ديدان والحجر في الألف الأوّل قبل الميلاد مخلّفةً آثاراً ونقوشاً ديدانيّة ومعينيّة ولحيانية ونبطيّة فإنهم يختلفون في الدور السياسيّ لكلٍّ منها وفي تعاقب الدّول في هذه المنطقة التي كانت ديدان حاضرتها وفي تحديد الحقبة الزمنية لتلك الدول، فاستعان الباحثون بما خلفوه من آثارٍ ونقوش وبما ورد في المصادر الكلاسيكيّة وبالدراسة الباليوغرافية للنقوش ليصلوا إلى التسلسل الزمنيّ لتلك الدول الحاكمة، فأخذ معظمهم بالمذهب الذي يمثله (وينت) F.V.Winnett – ويؤيده (البرايت) W.F.Albright و(فان دن براندن) A.van den Branden و(ريكمانز) G.Ryckmans وإنْ كانوا يخالفونه في بعض التفاصيل – وهو يرى أن أولى الدول هناك كانت المملكة الديدانيّة في القرن السادس ق.م أثناء حكم آخر ملوك الدولة البابليّة الحديثة (نابونيد) (٥٥٥–٥٣٩ق.م) الذي قضى عشر سنوات من عهده في تيماء وهيمن على المناطق المجاورة ومنها ديدان إذ ورد في كتاباته أنه هزم ملك da-da-nu «ديدان» دون أن يذكر اسمه، وثمة إشارة إلى حربٍ بين سكان الواحات في شمالي الحجاز ومنها ddn في نقوشٍ ثموديّة من «جبل غنيم» في الجنوب الغربيّ من تيماء تعود إلى القرن السادس ق.م. ويكتنف تاريخ هذه المملكة الغموض لأنه لا يُعرف منه سوى أسماء ثلاثة من ملوكها في النقوش الديدانيّة، ونقوشها قصيرة فقيرة المحتوى غير مؤرّخة، ولم يُعثر على شيء من آثار المملكة التي لا يُعرف متى كانت نهايتها.

وقد خَلَفَتْها المملكة اللحيانيّة من القرن الخامس حتى سقوطها في أواخر القرن الأوّل ق.م، فكانت أكثر اتساعاً وأطول منها عمراً، وذكر (بلينيوس) – الذي

عاش في زمن الأنباط أي بعد زوال الدولة اللحيانيّة - أن الحجر تقع في أرض اللحيانيين، مما يعني أنّ مساكنهم كانت في شمالي الحجاز. أما المعينيون فالراجح أنهم جاؤوا من اليمن القديم جماعاتٍ متتالية في أوقات مختلفة، وما لبثوا أن أصبحوا جاليةً ذات نفوذ في ديدان أدّت دوراً مهمًّا في تجارة القوافل بين القرنين الرابع والثاني ق.م دون أن تقوم لهم دولة، حالهم في ذلك كحال الجماعات المعينيّة التي استقرّت في مناطق أخرى - ومنها الحِجْر - كانت محطات على الطريق التجاريّ. ولكنّ المكتشفات الأثريّة في الحجر وكثرة الفخّار النبطيّ فيها تدلّ على أنها ازدهرت في عهد الأنباط في القرن الأوّل الميلاديّ، بعد أن حوّلوا الطريق التجاري من ديدان إليها مما أضعف الدولة اللحيانيّة وعجّلَ بزوالها. وانفرد (كاسكل) بمذهبٍ يقترح زمناً أحدث لقيام الدولة اللحيانية، إذ يرى أن المعينيين أقاموا دولةً بين عامي ٤٠٠ و١٦٠ ق.م لتكون بذلك سابقة للمملكة الديدانية التي انتهى عهدها - عنده - عام ١١٥ ق.م، حيث ظهرت الدولة اللحيانية، ثم جاء الأنباط في عهد حارثة الرابع (٩ ق.م -٤٠م) فظلت المنطقة خاضعة لهم حتى عام ٨٠ م لتبدأ المرحلة الثانية من عمر الدولة اللحيانية التي استمرت حتى منتصف القرن الثاني الميلادي.

اكتشاف النقوش:

كان (داوتي) Ch.Doughty - وهو جيولوجيّ - أول من نسخ نقوشاً لحيانية ظانًّا أنها عربية جنوبيّة في أثناء رحلته التي شملت تيماء وجبل حسمى ومدائن صالح والعلا في شمالي الجزيرة العربية عامي ١٨٧٦/ ١٨٧٧، وقد نشر (رينان) E.Renan تلك النقوش - وهي ثلاثون - مع نقوش أخرى آراميّة ونبطيّة بتكليفٍ من الأكاديمية الفرنسية للنقوش والآداب عام ١٨٨٤. وتلاه (هوبر) Ch.Huber الذي زار حائل وجبل حسمى وخيبر عامي ١٨٨١/ ١٨٨٢، ونشر النقوش اللحيانية التي جمعها - وعددها ١٦ - عام

١٨٨٤. وكان الثالثَ (أويتنغ) J.Euting الذي جمع في رحلته إلى مدائن صالح والعلا – التي صحبه في بعض مراحلها (هوبر) – عامي ١٨٨٣/ ١٨٨٤ زهاء ٩٠٠ نقش بلغاتٍ ولهجات مختلفة، منها ٧٤ نقشاً لحيانيًّا نشرها (مولر) D.H.Müller بعد أن أكمل قراءة حروفها نشراً علميًّا صحيحاً عام ١٨٨٩، ففُتحتْ بذلك مغاليق اللحيانية وصارت أسهل بحثاً. ثم نسخ (جاسان) و(سافيناك) – وهما من الآباء الدومينيكان – (١٧٧٥) نقشاً بلغاتٍ شتى، ومنها ٣٧٩ باللحيانية، في ثلاث رحلات إلى شمالي الجزيرة في الأعوام ١٩٠٧ و١٩٠٩ و١٩١٠، ونشرا تلك النقوش في كتاب من مجلّدين، تضمّن أولهما ٢٩ نقشاً لحيانيًّا من «جبل إثلب»، وثانيهما ما جمعاه من «الخريبة» وهو ٣٥٠ نقشاً[٢]. ثم جالَ (فيلبي) في طول الجزيرة وعرضها في أربع رحلات – إحداها مع (ريكمانز) – بين عامي ١٩٥٠و١٩٥٣ وتمكّن من تصوير آلاف النقوش بلغاتٍ مختلفة، وقد نُشر اللحياني منها – وهو ٣٠ نقشاً – عام ١٩٥٧[٣]. ثم صوّر (وينت) و(ريد) نقوشاً في أثناء جولةٍ في شمالي الجزيرة العربية عام ١٩٦٢، ومنها ١٨ نقشاً لحيانيًّا من «العلا» نشراها في كتابهما المطبوع عام ١٩٧٠[٤]. واستطاع (هاردنغ) – وهو يصحب (بار) في جولة في المنطقة عام ١٩٦٨ – تصوير ١٥ نقشاً لحيانيًّا من «وادي المعتدل» نشرها عام ١٩٧٢[٥]. وتبعته في العام نفسه أي ١٩٦٨ شتيل R.Stiehl فصوّرت أربعين نقشاً من «بئر العُذيب»

(٢) J. A. Jaussen et R. Savignac: Mission archéologique en Arabie, I-II, Paris 1909, 1914.

(٣) St.J.B.Philby: The Land of Midian, Londen 1957.

(٤) F.Winnett & W.Reed: Ancient Records from North Arabia, Toronto 1970.

(٥) P.J.Parr, G.L. Harding & J.E.Dayton: Preliminary Survey in North West Arabia, London 1972.

نشرها (ريكمانز) في كتابه الذي صدر عام ١٩٧١[٦]. ثم نشر (جام) مجموعةً من النقوش عام ١٩٧٤ جمعها W.Perry Hill قبل ذلك بعامٍ من «وادي المعتدل»[٧]. وشرع ذوو الاختصاص في السعودية عام ١٩٨٤ بإجراء مسح أثريٍّ وإبيغرافي شامل لجميع المناطق في المملكة، ويظهر أنّ ما جمعوه من النقوش اللحيانية نُشر منذ بضع سنوات[٨]. وقد نظر بعض الباحثين إلى الفروق الطفيفة في أشكال مجموعة من الحروف وإلى الإشارة في بعض النقوش إلى «ملك ديدان» فصنّفوها بأنها ديدانية، غير أنّ المذهب الشائع هو أن أوجه الاختلاف في المجالين الباليوغرافي واللغوي لا تكفي للفصل بين النقوش الديدانية - التي لا يتجاوز عددها سبعين نقشاً - واللحيانية، ولذا جعلهما معظم الباحثين ضرباً واحداً.

- لغة النقوش:

لا شكّ أنّ أسلوب النقوش - التي لا يتجاوز مجموع ما نُشر منها حتى اليوم ألفاً وأربعمئة- يُتَحكّم في لغتها في المجالين الصرفيّ والنحويّ، فصوغها بضمير الغائب جعلها نمطاً واحداً يكاد يخلو من الصيغ الصرفيّة والأساليب النحويّة الخاصّة بالمتكلّم أو المخاطب، ولذا لا يرد من صيغ الضمير المنفصل سوى hm للغائبين، أما الشواهد الثلاثة لضمير المتكلم «أنا» فهي ليست مؤكّدة. وتوافق صيغ الضمير المتصل بالاسم مثيلاتها في

(٦) G.Ryckmans: Neue lihyanische Inschriften aus al-cUdaib, 1971.

(٧) A.Jamme: Lihyanite Rock Inscriptions from Wadi Muctadil, 1974.

(٨) قرأتُ أنّ حسين أبو الحسن نشر زهاء ٣٥٠ من النقوش من «جبل إثلب» في «مدائن صالح» و من «جبل عكمة» ومواقع أخرى في «العلا» في دراستين نال بهما درجتي الماجستير والدكتوراه، ولا أستطيع تحديد حجم المكرّر من النقوش فيهما لأنني لم أتمكّن من الاطلاع على هاتين الدراستين.

الفصحى، فهي h- للغائب والغائبة (والسياق يفرّق بينهما) وhm- للغائبين، ماعدا صيغة المثنى فهي hmy–، وأما الضمائر المتصلة بالفعل فهي واو الجماعة، نحو: hwdqw «قدّموا» وهاء الغائب tbh' «أثابهُ». ولا نجد من أوزان الأفعال إلا الماضي المسند إلى ضمائر الغيبة، والغلبة فيها لوزن فَعلَ (الثلاثي) fcl، ويدلّ السياق على استعمال فاعلَ fcl، نحو ḥrb «حاربَ»، وافتعلَ ftcl، نحو: tqṭ (من الثلاثي المضعّف qṭ « قطَّ، نقشَ، كتبَ»)، وانفعلَ nfcl، نحو: nktb «انكتبَ، كُتبَ»، وهفعلَ hfcl – الذي تعرفه الفصحى والسبئيّة – نحو: hncm «أنعمَ» وhwdq «قدّمَ، قرّبَ» وhẓll «أظلَّ»، ومرادفه أفعلَ، نحو: «tb' أثابَ» و: ẓll/'ẓl' «أظلَّ»، أمّا المضارع فليس له – فيما يبدو – سوى ثلاثة شواهد: ysmc «يسمع» وṭṣbḥ «تُصبح (هي)» وystfy «يستوفي». ومن أهم السمات الخاصة بالأفعال كتابة الفعل الناقص اليائيّ بالياء مما يعني أنه يعامل معاملة الفعل الصحيح، نحو: bny «بنى» وdmy «رسمَ» وwdy «دفعَ الدية» وdly «توسّلَ»، ويظهر أنها تنطق banaya وdamaya وwadaya وdalaya، وحلول واو الجماعة محلّ ضمير المثنّى إذا كان فاعلاً، فيُقال: فلان وفلان bnyw «بنَوا» و: wdyw «ودَوا=دفعوا الدية»، ويُكتب الفعل الأجوف اليائيّ أو الواويّ بحذف الياء والواو غالباً، نحو: bt باتَ وṣd صاد وdm دامَ وkn كانَ (وتخالفها byd – بإثبات الياء – «بادَ»). وصيغ أسماء الإشارة هي: d أو dh للمذكر (والهاء تناظر الألف في الفصحى) «ذا، هذا»، وdt للمؤنث «هذه»، أما الاسم الموصول فصيغه كنظائرها في الفصحى: mn «مَن» وmh «ما وl' «الذي» وd المماثلة لـ «ذو» في نقش النمارة، ويسمّيها النّحاة «ذو الطائيّة» لأنّها كانت تستخدم اسماً موصولاً في لهجة قبيلة طيئ، كقول شاعرهم:

فـإنّ المـاءَ مـاءُ أبـي وجـدّي وبئـري ذو حفـرتُ وذو طـويـتُ

وصيغة أداة التعريف هي h وحدها، نحـو: hdr «الـدّارُ»، أو hn إذا تلاهـا صوتٌ حلقيّ، نحو: hn'ṣl «الأصلُ». ولجمـع التكسـير بضـعة شـواهد علـى وزن «أفعال»، نحو: ym' «أيّام» وbcl' أبعال» وrbb' «أرباب»، في حين أنـه لـم يرد للجمع السالم سوى شاهد واحـد فـي حالـة الإضـافة، وهـو: bnw «بنـو فلان». وللاسم المثنّى شواهد قليلة أيضاً في حالة الإضافة وهو ينتهي باليـاء وتُحذف نونه، نحو: mlky lḥyn «ملكَي لحيان». أمّـا اسـتعمال الأعـداد فهـو مماثل لما تعرفه الفصحى، نحـو: m't w'rbcn «مئـة وأربعـون» و: snt cŠrn wtsc «سنة عشرين وتسعٍ» و: snt ḥms lhn's «سنة خمسٍ لـ [الملك] فلان».

وأهـمّ السّـمات فـي المجـال الصـوتيّ اسـتعمال الصـوامت consonants للدلالـة علـى الصـوائت أي الحركـات vowels، فالفتحـة الطويلـة â فـي نهايـة الكلمـة تُكتـب هـاءً، نحـو: mh «ما/ مـاذا» و: dh' «إذا» و: ḏh «ذا، هـذا»، وفـي وسطها كذلك، نحو: hḏhn «هذان». وتُكتبُ الضمّة الطويلة الخالصـة û واواً إذا كانت في نهاية الكلمة، نحو: ḥdw' «أخـذوا» وbnyw «بَنَـوا» وbnw «بَنُـو، أبنـاء»، فإذا كانت في وسط الكلمة جاز إثبات الواو أو حذفها، نحـو: ḥwhm' «أخـوهم» واسم المفعول hmqtl «المقتول». أما الكسـرة الطويلـة الخالصـة (î) فلـيس فـي الكتابة ما يدلّ عليهـا، فـإذا انتهـى اللفـظ باليـاء فالظـاهر أن اليـاء تمثّـل الكسـرة الطويلة الممالة التي تعرفها بعـض اللهجـات العاميّـة، كفعـل «بنى» bny واسـم الإلهة «العزّى» hnczy والضمير المتصل للمثنى «هما-hmy»؛ فالنطق فيهـا: banë وhancuzzë وhumë، ولكـن الحركـة الطويلـة تُحـذف غالبـاً إذا كانـت ضـمّةً أو كسـرةً، نحـو: ḏ «ذو» و: bhm' «أبـيهم»، ويظهـر أن الصـوت المركـب (diphthong): ay أوau يبقى إذا كـان فـي نهايـة الكلمـة، نحـو: cly «علـى» أو إذا

تلاه ضمير متصل، نحو: bnyw «بَنَوْا» فنطقها banayû، ويتحول في وسطها إلى كسرةٍ طويلة ممالة دون أن يمثلها حرف صامت، نحو: «bt بَيْتٌ» و: zd «زَيْدٌ» التي تُنطق فيما يبدو بكسرةٍ طويلة ممالة – كما في العاميّة – bët وZëd. وتدغم النون في الصامت التالي لها، نحو: ('tt) بدلاً من ('ntt) «أنثى» و: ttn بدلاً من: tntn «ثنتان» و: bt بدلاً من bnt «بنتٌ»(٩).

– بناء النقوش ومضمونها:

يتوقع المرء أن تقدّم النقوش اللحيانية – كالنقوش السبئيّة مثلاً – صورة واضحة عن الجوانب المختلفة من تاريخ الدولة اللحيانية، ولكنه لا يجد فيها سوى أسماء ملوكها وآلهتها، والجمهرة الكبرى منها هي من المخربشات Graffiti المؤلّفة من أسماء الأعلام وحدها، نحو: 'bgr bn hn' (أبجر بن هانئ)، وقد تكون مصحوبة بصيغةٍ فعلية، نحو: tmlh rcy (تيم الله رعى)، أو وصفيّة، نحو: 'hld cbd 'brd (أخلد خادمُ أبرد). أما بقية النقوش– وهي مئتان ونيّف – فلا يتجاوز طول معظمها ستة من الأسطر القصار، ويمكن تصنيفها في ثلاثة أنواع، أحدها: نقوش الملكية التي تثبت حقوق الملكية، ويمثلها زهاء أربعين نقشاً من بئر العذيب توثّق نظام الريّ، وهذا أحدها: 1) ḥẓl bn 'fṣh sb 'ẓ 2) ll hẓll bkhl bcd n 3) hlh bbn 'l frḍh ws 4) cdh w'hrth وهو في الفصحى: «١–فلان بن فلان غطّى ٢– قناة الماء [التي أقامها] في [الموضع المسمّى] khl ٣–لنخيله في [الموقع المسمّى] bn'l، فلْيُرضه الإلهُ ٤–ويسعده هو وذريته». ومنها هذا النقش من «العُلا» في ملكية مدفنٍ: 1)cbd hrg bn flh zd dġbt bny h 2) kfr lh wlwrth hkfr dh kllh3) w'hd .hmtbrn snt ttn ltlmy bn 4) hn's

(٩) انظر ما كُتب عن لغة النقوش اللحيانية في: W.Caskel: Lihyan und Lihyanisch و: W.W. Müller: Das Frühnordarabische, pp.20-22.

١- [كاتب النقش] فلان بن فلان [بن] فلان ذو غابة بنى ٢- القبر له ولوريثه، القبر هذا كله ٣- وأخذَ القبرين في السنة الثانية لـ[عهد الملك] فلان بن ٤- فلان. وثانيها: النقوش النذريّة، وهذا أحدها وهو من العلا أيضاً: 1) smlh b 2) nt qsm 3) hdqt h 4) ṣlmn 5) lhn'kt 6) b frḍh w 7) 'ḫrth « فلانة بنت فلان قدّمتْ التمثالين لـ[الإله] hn'ktb فأرضاها هي وذريتها». وثالثها: نقوش البناء، ومنها هذا النقش وهو من الخريبة: 1) cqrb bn mr'lh hṣ 2) nc dġlh 'tc 3)'b'lf bḥqwy k 4) fr frḍh wscdh w 5) 'ḫrth snt ḫms 6) lhn's bn tlmy 7) mlk lḥyn وفحواه في الفصحى: ١- عقرب بن فلان الصانع ٢- من آل فلان نحتَ ٣- لفلان على جانبي القبر ٤- فأرضاه وأسعده ٥-وذريته سنة خمسٍ ٦- لفلان بن فلان ٧- ملك لحيان.

ثانياً- النقوش الصفويّة:

- الاكتشاف:

وترجع بداية اكتشاف النقوش الصفوية إلى منتصف القرن التاسع عشر، إذ نسخ بعضها البريطاني (غراهام) Cyril Graham عام ١٨٥٧ أثناء رحلة إلى «الحَرّة» بين تلول الصفا وجبل حوران. واستطاع قنصل بروسيا في دمشق (فيتسشتاين) J. Wetzstein في رحلته إلى ذلك الإقليم في العام التالي أي ١٨٥٨ نسخ ٣٧٩ نقشاً. أما الرحلة الثالثة فكانت للفرنسيَّيْن (دو فوغيه) M.de Vogüé و(ودنغتون) W. Waddington عام ١٨٦٢. ثم كانت رحلة الفرنسي (دوسو) R. Dussaud وزميله (ماكلير) Fr. Macler عام ١٨٩٩، وكانت حصيلتها (٤١٢) اثنا عشر وأربعمئة نقش، وقد عادا إلى المنطقة عام ١٩٠١ ليجمعا ٩٠٤ من النقوش. وانضم الأمريكيون إلى زملائهم الأوربيين فأرسلوا بعثةً أثرية عام ١٨٩٩ ثم بعثتين أُخريين موفدتين من

جامعة (برنستون) عام ١٩٠٤ ثم عام ١٩٠٩، فطافت البعثات الثلاث أرجاء سورية من الشمال إلى الجنوب. واستطاع الألماني (ليتمان) E. Littmann – الذي شارك فيها كلها – نَسْخ أكثر من ١٤٠٠ نقش[١٠]. ونشر (دونان) M.Dunand عام ١٩٣٤ تقريراً عن ٢٦٠٠ نقش نسخها هو وزوجته من جبل حوران، غير أن تلك النقوش تأخّر نشرها حتى عام ١٩٥٠ فكانت ضمن ٥٣٨٠ نقشاً ضمّها المجلّد الخامس من مدوّنة النقوش الساميّة: CIS,V(1950) الذي خصصّه محرِّره (رايكمانز) G.Ryckmans للنقوش الصفويّة. واستؤنف البحث عن النقوش في جنوبي سورية عام ١٩٩٥، حيث أجرت بعثة بريطانية سورية مسحاً إبيغرافيًّا واسعاً بإدارة (ماكدونالد) M.C.Macdonald ومشاركة مُنىٰ المؤذّن – الباحثة في المديرية العامة للآثار – وغازي علولو الذي نشر أربعمئة نقش من المجموعة التي نُسخت من «وادي السوع» شرقي «الزلف»[١١].

وبدأ المسح الإيبغرافي في البادية الأردنية عام ١٩٥٠، وكانت أهم نتائجه نسخ زهاء ١٠٠٠ نقش من منطقة «الاجفايف= H 5» أي «الصفاوي» نشرها (وينيت) عام ١٩٥٧[١٢]، و٤٨٠ نقش من «وادي مقاط» إلى الجنوب الغربي من «الإجفور= H4 أي «الرّويشد» نشرها (أوكستبي) عام ١٩٦٨[١٣]، وزهاء ٤٠٠٠ نقش من «الرّويشد» و«البرقع» و«تل قُرْمة»، نشرها (وينيت) و(هاردنغ)

(١٠) نشرها كلها في كتابه: Safaitic Inscriptions, Leiden 1943.

(١١) نال غازي علولو بنشرها درجة الماجستير من جامعة اليرموك في الأردن عام ١٩٩٦، ثم أعاد نشرها بدمشق عام ٢٠١١ بعنوان: نقوش صفائيّة جديدة من جنوب سورية.

(١٢) F.Winnett: Safaitic inscriptions from Jordan, Toronto 1957.

(١٣) W.Oxtoby: Some inscriptions from the safaitic Bedouin, New Haven 1968.

F. Winnett & G.L. Harding عـام ١٩٧٨[١٤]، وزهـاء ١٢٠٠ نقـش مـن حـرّة الرّاجل ومواقع أخرى نشرها (كلارك) عـام ١٩٧٩[١٥]. ويُضـاف إليهـا ٣٢٠٠ نقش نسختها (كنغ) G. King وألف أخرى نسخها (ماكدونالد) Macdonald عـام ١٩٨٢. ثم شرع قسـم النقـوش (أي قسـم اللغـات القديمـة) بجامعـة اليرمـوك بالتعاون مع دائرة الآثار العامة بتنفيذ مشـروع «مدوّنـة النقـوش الأردنيّـة» الـذي يهدف إلى إجراء مسحٍ إيبغرافيٍ شامل لنسـخ جميـع النقـوش المكتوبـة بلغـاتٍ ساميّة أو غير ساميّة في الأردن، وكانت البداية المسح الذي أجـراه (ماكدونالـد) في موقع «جاوة» شمالي «الصـفاوي» عـامي ١٩٨١/ ١٩٨٢، ثـم تـابع أعضـاء هيئة التدريس بقسم النقوش بالتعاون مع طلبة القسـم هـذا المسـح فـي مواسـم سنويّة بدءاً من عام ١٩٨٩ في المنطقـة بـين «الصـفاوي» و«الرويشـد»، وكانـت أهم مواقعه «غدير الملاّح» و«وادي سلمى» و«الشبيكة» و«بيار الغصـين» نُسِـخَ منها زهاء خمسة آلاف من النقوش[١٦].

أمّا في السعودية فإنّ نسخ النقـوش الصـفويّة يجـري فـي إطـار المسـح الإيبغرافي الشامل الذي شـرعت بـه دائـرة الآثـار والمتـاحف بالتعـاون مـع المختصين في الجامعات السعودية عام ١٩٨٤، وقد نُشر بعضها[١٧].

---

(١٤) F. Winnett & G. L. Harding: Inscriptions from fifty safaitic cairns, Toronto 1978.

(١٥) V.Clark, A Study of new safaitic inscriptions from Jordan, Melbourn 1979.

(١٦) نُشر بعضها في رسالتين نال بهما صاحباهما عبد الرحمن بني عواد ومحمـد الصـويركي درجة الماجستير من جامعة اليرموك، ثم نشـر فـواز الخريشـة خمسـمئة منهـا مـن «بيـار الغصين» عام ٢٠٠٢. وانظر مواقع النقوش في سورية والأردن في الخريطة.

(١٧) نُشرت تقارير عنها في مجلة «الأطلال»، وانظـر: سـليمان الـذييب: نقـوش صـفوية مـن شمالي السعودية، الرياض ٢٠٠٣.

- مواقع النقوش:

والخلاصة أنّ النقوش الصفوية - التي يمتدّ زمن كتابتها من القرن الأول ق.م إلى القرن الثالث الميلادي - تتوزع في رقعة واسعة تمتد من (دورا اوربوس) Dura Europos (الصالحيّة) على الفرات الأوسط شمالاً إلى وادي السرحان والجوف في السعودية جنوباً ومن الرطبة في الجنوب الغربي من العراق شرقاً إلى النقب في فلسطين غرباً. ولكن معظمها عُثر عليه مكتوباً على الأحجار البركانيّة في المنطقة التي صارت تربتها مؤلّفةً من اللابات البركانية المتراكمة بعد تبرّدها وتعرّضها لعوامل الحتّ والتعرية زمناً طويلاً، وما تزال تحتفظ باسمها القديم «الحَرَّة» وهي عند الجغرافيين العرب «أرضٌ ذات حجارةٍ سودٍ نخرات كأنها أُحرقت بالنار»، وقد وصفها أحمد وصفي زكريا بقوله إنها « تُسمّى حرّة الرّاجل نسبةً إلى وادٍ فيها اسمه وادي الرّاجل المنحدر من صَبَب جبل حوران الشرقي الجنوبي، فهي وعرةٌ عظيمة تمتدّ داخل الأردن بين محطتي [H4 «الرويشد»] وH5 [«الصفاوي»]، وهي مؤلفة من صخورٍ بركانية صغيرة لمّاعة سوداء كالفحم الحجريّ قذفتها حممُ جبل حوران كما قذفت حرّتي اللجا والصفا،... وكانت في عصور التاريخ الأولى شبه مأهولة، يدلّ على ذلك أطلال المباني الحجريّة والأدوات الظرّانيّة والكتابات الصفويّة الكثيرة فيها»[١٨]، فهي تشمل جنوبي سورية والبادية المجاورة في شمال شرقي الأردن وتنتهي في وادي السرحان شمالي السعودية، و تحتوي منطقة الحرار على هضابٍ وتلالٍ ومنخفضاتٍ تقطعها وديانٌ تملؤها مياه الأمطار، وأهمها وادي الشام ووادي

(١٨) زكريا: عشائر الشام، ص٢٨-٢٩.

الغَرْز اللذان يصبّان في واحة الرحبة قرب تلول الصّفا، ووادي مقاط الذي يمتد من جنوبي تلك التلول إلى البادية الأردنية، ووادي راجل الذي يصبّ في واحة الأزرق في الأردن.

- قراءة الخطّ الصفوي:

أخفق O. Blau ثم D. H. Müller في فكّ رموز هذا الخط لأنه - من ناحية - لم يكن بين أيديهما إلّا عدد قليل من النقوش يشمل ما نسخه (فيتسشتاين)، ولأنهما كانا - من ناحية أخرى - يقارنان مقارنةً دقيقة بين تلك الكتابة و«الكتابة الحميرية». ولكن (هاليفي) تمكّن في بحثٍ مطوَّل نشره في ثلاثة أجزاء بين عامي ١٨٧٧ و١٨٨٢ من قراءة ستة عشر حرفاً وهي: الألف والباء والتاء والحاء والخاء والدال والراء والسين والطاء والعين والقاف والكاف واللام والميم والنون والياء. وأضاف Fr. Praetorios إليها وهو يراجع هذا البحث عام ١٨٨٣ خمسة حروف أخرى هي: الثاء والذال المعجمة والغين والهاء والواو، ثم استكمل (ليتمان) عملهما بقراءة الأحرف السبعة الباقية - وهي الجيم والزاي والشين والصاد والضاد والظاء والفاء - في كتاب نشره عام ١٩٠١[١٩].

- لغة النقوش:

وأهم خصائصها في المجالين الصوتي والصرفي إغفالها - في الأعمّ الأغلب - كتابة أصوات اللين المركّبة (= diphthong)، وهي: ay وau، فالأسماء: صيْف و: بيْت و: موْت و: خَيْلٌ و: عَيْرٌ (= حمارٌ) ترد هكذا: ṣf، bt، mt، hl، cr، فتُنطق فيما يبدو بكسرةٍ طويلة ممالة - كما في العاميّة - ṣëf

(١٩) Zur Entzifferung der ṣafâ-Inschriften, Leipzig 1901.

وbët وmÔt (وثمة شواهد مخالفة، نحو: ṣyf =صيفٌ و: byt = بيت و: hyl = خَيْلٌ، و: cyr = عَيْرٌ و: qyẓ = قيظٌ) وإغفالها كتابة أصوات الحركات الطوال (أي حروف المدّ) أيضاً، فالأسماء: خالٌ، و: دارٌ، و: عامٌ ترد هكذا: hl، dr، cm، وصيغة المتكلم من الضّمير المنفصل «أنا» وكذلك حروف الجر الثلاثة «إلى وعلى وفي» مختصرة بحذف الحرف الأخير، فصيغها هي «'n + 'l +cl + f» على الترتيب، ووزن «فاعلَ» هكذا: sfr «سافرَ». ويرد الفعل الثلاثي الأجوف بحذف الواو أو الياء تارةً، نحو: qm «قامَ» و: rḥ «راحَ» و: ḥr «حارَ» و: ḥb «حابَ، تحسّرَ» و: bt «باتَ» و: ṣr «صار»، وبإثباتهما تارةً أخرى، نحو: ḥwr و: ḥwb و: byt و: ṣyr. أمّا الفعل الناقص اليائيّ فيُعامل معاملة الفعل الصحيح بثبوت الياء، نحو: bny «بنى» و: bky «بكى» و: rcy «رعى»، ولكن الواو والياء تتعاقبان في الأجوف والناقص، نحو: cwq +cyq «عاقَ» و: ḥwb + ḥyb (في الأجوف)، و: 'tw+ 'ty «أتى» و: bny + bnw «بنى» و: Šty + Štw «شتا» (في الناقص). وتحذف الواو من صيغة الأمر من الفعل المثال، نحو: hb «هَبْ»، ويرد الثلاثي المضعّف بالإدغام وبغيره، نحو: ḥll +ḥl «حلَّ»، و: qrr + qr «قرَّ»، و: ẓll + ẓl «ظلَّ، أي استظلَّ». وتُدغم النون بالتاء التي تليها، نحو: wtẓr «وانتظرَ» و: bt «بنتٌ» (إلى جانب bnt بدون إدغام)، وكثيراً ما تُحذف النون من «مِن» الجارّة، نحو: 'mŠn «من شانئٍ» و: mb's «من بأسٍ» و: mḥwrn «من حوران» و: mcbdh «من عبْدِهِ». أما اسم الإشارة – وهو يلي المشار إليه غالباً – فصيغته وهي حرف الذال المعجمة واحدة لكلا الجنسين؛ ولكن النطق يُفرّق – على الأرجح – بينهما كما هي الحال في الفصحى، فهو «ذا» للمذكّر و «ذي» للمؤنّث، نحو: gw d «الوادي هذا»، و: 'tr d «المكان هذا»، و: hbkrt d «هذه الناقة». والذال

المعجمة هي صيغة الاسم الموصول أيضاً، فتماثل بذلك «ذو الطائيّة» وتتبعها عادةً كلمة «l'» للدلالة على النّسب، نحو: d 'l zhr «فلان من آل زهر»، وقد وردت بصيغة d't للمؤنث، نحو: d't tm « فلانة من آل تيم»، كما ورد الاسم الموصول mn «مَنْ» في بعض النقوش. وأما أداة التعريف فهي – كما في اللحيانية – الهاء، ودلالتها كدلالة اسم الإشارة، نحو: hgml «الجمل/ هذا الجمل» و: hdr «الدار/ هذه الدار»، ويغلب أن تسبقها الباء الجارّة، نحو: bhdr «بهذه الدّار» و: bh'rḍ «بهذه الأرض»، والهاء صيغة النداء، ولا شواهد لها إلا مع أسماء الآلهة، نحو: hbclsmyn slm! «يا بعل السماء!» و: hrḍw scdh! «يا رضا! »، ويكون اللفظ بعد المنادى هنا فعل أمرٍ (سلِّمْ، و: ساعدْهُ)[٢٠]، ويجوز أن يكون في المثال الأول اسماً منصوباً بفعلٍ مقدّر (امنح سلاماً) كما هي الحال في التعبير الشائع «أهلاً وسهلاً». والاسم ثنائيّ، نحو: b' «أبٌ» و: bn «ابنٌ»؛ أو ثلاثيّ، نحو: d'b «ذئبٌ» و: mṭr «مطرٌ» و: frs «فرسٌ»، وتأنيثه بالتاء، نحو: h' «أخٌ» + ht' «أختٌ» و: mr' «امرؤ» + mr't «امرأةٌ» و: ġlm «غلامٌ» + ġlmt «غلامةٌ، فتاةٌ»، ويُجمع غالباً جمع تكسير، نحو: nq «نُوقٌ» (ومفرده nqt «ناقةٌ») و: lsnt' «ألسِنةٌ» و: ġnm' «أغنامٌ» و: hnh' «إخوانه» و: hẓbyn «الظِبيان؟»، وندر ورود الجمع المذكّر السالم، نحو: rbc snn' «أربع سنين»، وقد تتطابق صيغتا المفرد والجمع أحياناً، نحو: gml «جَملٌ، جِمالٌ» و: byt «بيتٌ، بيوتٌ»، وثمة شواهد لاسم الجمع، نحو: bl' «إبِلٌ» و: ḍ'n «ضأنٌ» و: hyl «خَيْلٌ» أما المثنى فمن شواهده: hgmln «الجملان» و: hbkrtn «البِكرتان» و: hẓbytn «الظبيتان». ومع أنّ صيغة الكتابة لا تدلّ – في الأعمّ الأغلب – على أوزان الأفعال فإنّ

(٢٠)ومما يؤيّد ذلك ورود اسم الإله مؤخّراً أحياناً، نحو:f slm hlt.

السياق والمقارنة بالفصحى يُمكّنان من معرفة أكثرها، فمنها: «فَعَلَ» ؛ نحو: wgd «وجدَ» و: wgm «وجمَ» و: dbḥ «ذبحَ»، و «فعّلَ» ؛ نحو: slm «سلَّمَ»، و «فاعَلَ»؛ نحو: sfr «سافَرَ»، و: «أفعَلَ»؛ نحو: 'Šrq «أشرقَ، أي اتجه شرقاً» و: 'hf «أخافَ»، و: «تفعّلَ» ؛ نحو: tŠwq «تشوّقَ» و: thwf «تخوّفَ» و: tcff «تعفّفَ»، و: انفعلَ؛ نحو: wtẓr «وانتظرَ»(٢١).

وتؤكّد تلك القراءات صيغُ المضارع والأمر واسم الفاعل، نحو: yŠrq «يُشْرِقُ» و: yhbl «يُخبّلُ» و: scd «ساعِدْ» و: 'Šn «شانئٌ» و: wlh «والِهٌ». ويشير استهلال الاسم بحرف الميم إلى أنه اسم فاعل أو اسم مفعول اشتقّ من فعلٍ مزيد، نحو: mḥb «مُحِبٌ»، و: mncm «مُنعِمٌ»، و: mqm «مُقيمٌ»، و: mhbl «مخبِّلٌ»، و: mqdm «مُقدَّمٌ». كما تدل الميم على أن اللفظ اسم مكان، نحو: mŠty «مَشْتى»، و: mqẓ «مَقِيظ» و: mdt' «مَدثأ» (حيث يقضي كاتب النقش الشتاء أو الصيف أو الربيع)(٢٢).

- بناء النقوش ومضمونها:

وأصحاب النقوش المنشورة - التي تجاوز عددها عشرين ألفاً - بدوٌ كانوا يتنقلون في فصول السنة كما يفعلون اليوم طلباً للماء والمرعى، وقد كتبوها على الأحجار البركانيّة لتسلية أنفسهم أثناء الرّعي أو الصيد أو الغزو في الأماكن التي مرّوا بها أو في مواضع التخييم أو في الرجوم أي أكوام الحجارة التي تغطي القبور. وإذا استثنينا مئاتٍ من الضرب المسمّى

(٢١) انظر: Littmann, Thamud und Safa, P.109.

(٢٢) انظر ما كُتب عن لغة النقوش الصفوية في كتابي ليتمان: E.Littmann, Safaitic Inscriptions , pp.VII-XXVII. و: Thamud und Safa, pp.92-143.، و: W.W.Müller: Das Frühnordarabische pp.22 -25، و: الروسان، القبائل الثموديّة والصفويّة ، ص٢٣٧-٢٥٠، و: حراحشة: الفعل في النقوش الصفوية.

«المخربشات = Graffiti» الذي لا يتضمّن سوى اسم الكاتب واسم أبيه متبوعاً بأسماء بعض أسلافه أحياناً فإنّ الضرب الآخر المسمّى «النقوش= Inscriptions» لأنه أطول وأغنى - شكلاً ومضموناً - مصوغٌ بضمير الغائب على نمطٍ واحد، فهي تُستهلُّ باسم الكاتب مقترناً بلام المِلكيّة أو الاختصاص ومتبوعاً بسلسلة نسبه التي تتجاوز أحياناً عشرةً من أجداده لِتنتهي باسم قبيلته، ويلي ذلك فعلٌ يُعبّر عن عاطفة (نحو: ndm «نـدِمَ» و: tšwq «تشوّقَ» و: ngc «تاقَ») تدلّ على شوق مَن كتبها إلى أحبّةٍ مرّوا بديارٍ كانت لهم من قبل، مما يُذكرنا بالوقوف على الأطلال في الشعر الجاهلي، أو فعلٌ يُعبّر عن حدثٍ (نحو: bny «بَنى» و: rcy «رَعى» و: wrd «وردَ الماءَ» و: hrṣ «راقبَ، استطلعَ» و: ṣyd «صادَ» و: ġzz «غزا» و: dṯ' «قضى الربيع» و: qyẓ «قيّظَ» و: šty «شتا») للتعبير عن شؤون تتصل بحياة كاتبيها كرعي الأغنام والإبل، وصيد ما يجدونه من حيوانات في البادية كالظباء والنعام، وصراعهم مع الحيوانات المفترسة كالذئاب والأسود، وغزو القبائل بعضها بعضاً، موثّقين ذلك كله برسومٍ مصاحبة للنقوش يستعين الباحثون بها في القراءة والتفسير، وهي على الأغلب رسوم حيوانات، فمنها ما يبيّن ملكية الكاتب للحيوان المرسوم، نحو: lḫy bn 'czm hgml «الجملُ لفلان بن فلان»، ومنها ما يُشير إلى أنه صاحبُ الرسم إذا كان لحيوانٍ مفترس، نحو: ld'y bn bġḍ hlṯ «لفلان بن فلان [رسمُ] الليث». أما النقوش التي تصاحب الرجوم فهي تظهر حزن كاتبيها على الأموات وتطلب من الآلهة العون على الثأر والانتقام لهم إذا كانوا قتلى. كما يُختتم كثيرٌ من النقوش بالتضرّع إلى واحد أو أكثر من الآلهة، والغالب أن يبتهل الكاتب إلى الآلهة طالباً منها السلامة (slm)، أو الخلاص والنجاة (hlṣ)، أو العون والمساعدة (scd) أو

الخلاص من الحرمان (rwḥ) أو التحرّر من الفقر والعوز (ġnyt)، أو الحصول على الغنيمة (ġnmt)، أو طالباً منها لعن مَن يعبث (cwr، ḫbl) بالنقش وبالرسوم المصاحبة له. وقد تتضمّن أحياناً إشاراتٍ غامضة إلى أحداث تاريخية. وهذه بضعة نقوش توضح الأسلوب والمضمون لمئاتٍ من نظائرها، أحدها: lḫr bn chd bn… fhlt slm msn' wqyẓ hḥwy fhlt cwr ḏ ycwr hsfr wcyd 'hlh bḥbs w'srq bḏ'n= «لفلان بن فلان...، فيا أيتها اللات السلامة من الشانئ، وقيّظَ في الوادي، فيا أيتها اللات عوّري الذي يتلف النقش، ثم عيّد أهله في حابس، ثمّ أشرقَ بالضأن»، وقد ذكر كاتب النقش أسماء عشرةٍ من أسلافه، وأشار إلى ثلاثة أحداث: قضاء الصيف في الوادي، وتهنئة أهله بالعيد، وتوجهه مع قطيع الأغنام إلى الشرق أي إلى المنطقة التي تُسمّى اليوم «الحَماد»، وابتهل إلى اللات مرتين سائلاً الحماية من الخصوم ومعاقبة مَن يُتلف النقش. و يخبرنا كاتب ثاني النقوش أنه اصطاد حماراً وحشياً في منطقة «نجد»: l's bn ysḥḥ wṣyd cr mn ngd «لفلان بن فلان، واصطاد عيراً من نجد»، و يعبّر صاحب النقش الثالث عن حزنه على قتيلٍ ويطلب الثأر له: lnqm bn rsn ḏ'l 'ty wwgm cl syd mqtl ty' fhlt wdsr ṯ'r «لفلان بن فلان من آل فلان، ووجمَ على فلان المقتول من فلان، فأيتها اللات ويا ذا الشرى الثأر له».

للبحث صلة

(جـدول النقحـرة)(*)= Transliteration

’	أ	ṣ	ص
ṯ	ث	ḍ	ض
ḥ	ح	ṭ	ط
ḫ	خ	ẓ	ظ
ḏ	ذ	c	ع
Š	ش	ġ	غ
â	فتحة طويلة	î	كسرة طويلة خالصة
û	ضمة طويلة خالصة	Ô	ضمة طويلة ممالة
Ë	كسرة طويلة ممالة		

١- بُصرى
٢- أم الجمال
٣- الزُّلف وادي الغرز
٤- النَّمارة وادي الشام
٥- الشبيكة
٦- جاوة
٧- بيار الغصين
٨- قصر برقع
٩- الرويشد = H4
١٠- غدير الملّاح
١١- الصفاوي = H5
١٢- تل قرمة
١٣- الأزرق

(*) النقحرة يستعملها بعضهم بمعنى نقل أصوات لغة وحروفها إلى لغـة أخـرى، نحتًـا مـن تركيب (نقل الحروف) = المجلة.